

٤ . تطبيقات أدبية:

المرحلة الرابعة – قسم اللغة العربية أستاذ المادة: أ. د.فرحان بدري الحربي

المحاضرة الرابعة / علوم البلاغة وصلتها بفهم النص الأدبي:

أ – علم البيان:

في علوم البلاغة التي درسها الطالب في مختلف مراحل الدراسة في الجامعة هنالك ما يمكن الإفادة منه وتوظيفه لفهم الأدب. ومن خلال مختلف تلك العلوم تكون بين يدي الطالب آلات تساعده على فك بعض شفرات النص الأدبي وفهمه وإدراك معناه. ومن العتب أن يدرس الطالب في أكثر من سنة علوم البلاغة (علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني) ثم يهملها فلا تتحقق من وراء درسه فائدة. فمن مجمل عدّة البلاغة تلك يمكن الإفادة في التحليل الأسلوبي للنصوص الأدبية، وفي الوقت نفسه يكون درس التطبيقات الأدبية فرصة لإعادة ما درسه الطالب خلال سنوات الدراسة السابقة، لتكون متاحة للتطبيق والاستخدام العملي في تحليل النصوص الأدبية.

ففي علم البيان ،مثلا، نجد تفصيلات عن المجاز وأنواعه، فلو أن أحدا لا يعلم شيئا عن الاستعارة والتي هي إحدى أهم فنون البلاغة؛ وقرأ قول الشاعر الجاهلي امرئ القيس وهو يتحدث عن الليل:

فقلت له لِمَا تَمَطَّى بَصُلْبِهِ وَأرْدَفَ إِعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ

فماذا سيقول هذا الشخص الذي لا يعلم شيئا عن الاستعارة وكيف أنها قد تمنح الجماد حياة؟! قد يقول: إن الشاعر مجنون يهذي، فهو يتحدث مع الليل وكأنه إنسان يسمع ويفهم، وهو يخاطبه على هذا الأساس. لكن في المجاز البلاغي مساحات من المسموح به في الشعر وهذا ما يرشده إليه علم البلاغة. ومن جهة ثانية وجدنا الشاعر يصوّر هذا الليل بأنّه بغير له ظهر ويتمطّى ، وهذا الليل/

البعير ثقيل في حركته، فقد تحرك حركة ثانية بأن رفع عجزه، ثم مقدمة صدره الثقيلة... ليكون نهوض البعير سلسلة حركات بطيئة تجسّد حالة الثقل والطول والملل. كل هذا سيتضح للقارئ حين يعلم أن الشاعر يستعمل الاستعارة، فهنا الليل تجسّد على هيئة بعير، فقُرِّبت صورته من القارئ حين جسّمها الشاعر من خلال الاستعارة، التي هي في جوهرها تشبيه حُذف أحد طرفيه.

وقول الشاعر: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

فالأودية لا تسيل بأعناق المطي/الإبل، إنّما تسيل فيها مياه الأمطار مثلا. فهل الشاعر كان مجنونا أو مخمورا حين قال بذلك؟! الجواب: كلا. إنّها الاستعارة البلاغية التي تسمح للشاعر أن يتخيّل حركة أعناق الإبل كأنّها دفقات متوالية من تموجات مياه في تلك الأباطح. فصوّرها لنا تصويرا جميلا ونقل الحركة مجسّمة بوضوح.

ومثل هذا، أيضا، قول الشاعر:

سالت عليه شعاب الحيّ حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

فأصبحت وجوه أنصاره المتدافعة في حركتها لنصرته كأنّها تسيل مسرعة وبانسيابية كحركة المياه. وهذا تحقق من خلال الاستعارة، وهناك وجه شبه بين سرعة مسير هؤلاء الأنصار وسرعة مسير المياه وهي متجمعة من مختلف الأماكن وبسرعة كبيرة. ثم جاء التشبيه بأن أصبحت وجوه أنصاره هؤلاء كأنّها الدنانير، حين كانت الدنانير تُسكّ من معدن الذهب، دائرية براقّة، وهي تجلب المسرّة لمن ترد عليه لتكون ملكه يتصرف بها كيفما يشاء. ومعلوم أن التشبيه - شأنه شأن الاستعارة - أحد موضوعات علم البيان. وهو يحقق أغراضا كثيرة حين يُستخدم، منها تبيان حال المشبه حين لا يكون معلوما على وجه الدقة، فنأتي بمشبه به

معلوما لدى المتلقي ليقيس عليه ويفهم من خلاله. وقد نأتي بالمشبه لبيان درجة المشبه به أو مقداره، وقد نأتي به لنرغب بالمشبه من خلال مشبه به مرغوب ومحبيب لدى المتلقي...الخ.

وعلى هذا الأساس يتضح مقدار الفائدة التي يمكن أن يجنيها الطالب الذي يود تحليل نص أدبي من خلال الإفادة من بعض معارف علم البيان وحقوله، سواء أكانت الاستعارة أم التشبيه، أو غيرها من الحقول كالمجاز المرسل والمجاز العقلي والكناية..

ملاحظة: تتضمن المحاضرة في قاعة الدرس توسّعا في الأمثلة التطبيقية. ويمكن الاستزادة من الامثلة من كتاب: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير.